

الوصايا العشر كما جاءت في سورة الأنعام

د/ محمد بن أحمد الصالح*

الحمد لله حمدا يليق بعظيم وجهه وجلال سلطانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته وعمل بسنته .

وبعد.. فحدثنا اليوم عن الوصايا العشر، التي تضمنتها سورة الأنعام، قال تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ أُولَٰئِكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ • وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ وَالْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ • وَأَن هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١﴾

وهذه السورة التي أنزلت على المصطفى ﷺ بمكة - فهي سورة مكية - كرس الحديث فيها عن قضية واحدة لا تتغير، لكن الأسلوب في

* ورد لكتاب البحث ترجمة في العدد العاشر صفحة ٣٠٩ .

(١) سورة الأنعام، الآيات ١٥١ - ١٥٣ .

عرضها لا يتكرر، وهي قضية التوحيد، قضية العقيدة، وهي القضية الكبرى، وهي القاعدة الأساسية لهذا الدين، فالعقيدة هي المدخل للإسلام، وهي محوره والروح التي تسري فيه، وقد جاءت هذه العقيدة في سورة موجزة: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ • اللَّهُ الصَّمَدُ • لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ • وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (١)

فالعقيدة هي القاعدة الأساسية لإقامة هذا البناء العظيم، وهي الأصل والأساس، وعبادة الله هي البناء القائم على أساس العقيدة؛ لأن الإيمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر؛ يترتب عليه الانقياد له فيما اختاره ورضيه، وفيما أمر به وما نهى عنه .

ولقد مضى على النبي ﷺ في مكة ثلاثة عشر عاما كاملة، في تقرير هذه القضية الكبرى، ولم يتجاوز القرآن المكي هذه القضية الأساسية إلى شيء مما يقوم عليها من التفرعات المتعلقة بنظام الحياة، إلا بعد أن علم الله أنها قد استقرت في الأذهان، واستوفت ما تستحقه من البيان، لقد شاءت حكمة الله أن تكون قضية العقيدة هي القضية التي تتصدى الدعوة لها، منذ اليوم الأول للرسالة، وأن يبدأ رسول الله ﷺ أولى خطواته في الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن يمضي في دعوته يعرف الناس بربهم الحق ويُعَبِّدُهُمْ له دون سواه، وأن يرد السلطان كله إلى الله، فهو السلطان على الضمائر، والسلطان على الشعائر، والسلطان على واقعیات الحياة،

(١) سورة الإخلاص كاملة .

والسلطان في المال، والسلطان في القضاء، والسلطان في الأرواح والأبدان .
ولنأت على ذكر نماذج من سورة الأنعام، التي عيّنت بشأن العقيدة وتركيزها، والتي تدل على عظمة الله وقدرته وبديع صنعه: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ • هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ، ثُمَّ أَنْتُمْ تَمُوتُونَ • وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى: ﴿ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ • قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ أَخْذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ يَمَسَّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسَّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ • وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ، وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ (٣) .

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ (٤) .

(١) سورة الأنعام، الآيات من ١-٣ .

(٢) سورة الأنعام، الآيات ١٣، ١٤ .

(٣) سورة الأنعام، الآيات ١٧، ١٨ .

(٤) سورة الأنعام، الآية ٦٥ .

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَى مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ • فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ • وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ • وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿١﴾

وقال تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ • لَا تَدْرِكُهُ الْآبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصَرُ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿٢﴾

والآيات الثلاث التي تضمنت الوصايا العشر، حيث ختمت الآية الأولى بقوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، وختمت الآية الثانية بقوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، وختمت الآية الثالثة بقوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

ولقد جاء التنويه بهذه الآيات، وبيان فضلها، وسمو منزلتها، وعلو قدرها، لما روى الحاكم، وقال: صحيح الإسناد عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «أيكم يبايعني على ثلاث؟»، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ...﴾ (٣)، حتى فرغ من

(١) سورة الأنعام، الآيات ٩٥-٩٨.

(٢) سورة الأنعام، الآيات ١٠٢، ١٠٣.

(٣) سورة الأنعام، من الآية ١٥١.

الوصايا العشر كما جاءت في سورة الأنعام ————— د/ محمد بن أحمد الصالح

الآيات، «فمن وفي فأجره على الله، ومن انتقص منهم شيئا فأدركه الله به في الدنيا؛ كانت عقوبته، ومن آخر إلى الآخرة فأمره إلى الله: إن شاء الله عذبه وإن شاء عفا عنه» (١)

وبما أخرجه الترمذي في جامعه، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: (من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه؛ فليقرأ هذه الآيات الثلاث) (٢).

وأخرج الحاكم وابن أبي حاتم عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قال: (لما أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج إلى منى، وأنا وأبو بكر معه، فوقف ﷺ على منازل القوم ومضاربهم، فسلم عليهم وردوا السلام، وكان في القوم مفروق بن عمرو، وهانيء بن قبيصة، والمثنى بن حارثة، وكان مفروق بن عمرو أغلب القوم لسانا، وأفصحهم بيانا، فالتفت إلى رسول الله ﷺ وقال له: إلام تدعوا يا أخا قريش؟ فقال النبي ﷺ «أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وأن تؤمنوني وتنصروني وتمنعوني حتى أؤدي حق الله الذي أمرني به، فإن قريشا قد تظاهرت على أمر الله، وكذبت رسوله، واستغنت بالباطل عن الحق، والله هو الغني الحميد»، فقال له مفروق: وإلام تدعوا أيضا يا أخا قريش؟ فتلا رسول الله ﷺ على مسامعهم هذه الآيات الكريمة: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ ۖ﴾ الخ الآيات، فقال له مفروق:

(١) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٨٧ .

(٢) جامع الترمذي ج ٥ رقم ٣٠٧٠، وقال: (حديث حسن غريب) .

والإلام تدعو أيضا يا أخا قريش، فوالله ما هذا من كلام أهل الأرض ولو كان من كلامهم لعرفناه ... فتلا رسول الله ﷺ على مسامعهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(١)، فقال له مفروق: دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، وقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك^(٢).

هذا جانب من فضائل هذه الآيات الثلاث، وذلك هو تأثيرها في النفوس، وهذه الآيات أيضا تمثل نموذجا فريدا في التربية الحكيمة، التي يسعد به المجتمع، ويحي في ظلها الأفراد في أمان واطمئنان، ومن يتأمل في هذه الآيات الكريمات؛ يراها قد رسمت للإنسان علاقته بربه، علاقة ينال بها السعادة في الدنيا والآخرة، ورسمت له علاقته بأسرته بحيث تقوم على المودة والرحمة، وسدت في وجهه أبواب الشر التي تؤدي إلى انتهاك حرمت الأنفس والأموال والأعراض؛ لأن الإسلام يهدف إلى إيجاد جيل يدرك رسالته في هذه الحياة، إدراكا واعيا صحيحا مستنيرا، ويؤدي هذه الرسالة بقوة وأمانة، يدرك أن الله تعالى عليه حقوقا فيؤديها بإتقان وإخلاص، ويدرك أن لنفسه عليه حقوقا فيتعهد بها بالتهذيب والمحاسبة والتقويم، ويدرك أن لمجتمعه عليه حقوقا، فيؤدي هذه الحقوق عن رضا وطوعية واختيار، بأمانة وكفاية ونشاط واستقامة، وبذلك تصل الأمم إلى

(١) سورة النحل، الآية ٩٠ .

(٢) رواه الحاكم .

ما تسعى إليه: من عزة ومنعة، ومن غنى وسعادة وأمن واطمئنان .

ومن مفاخر التربة في الإسلام، اتساع دائرتها، وتنوع مجالاتها، وسمو توجيهاتها، وشمولها لكل جانب من جوانب الحياة الإنسانية. إنها تعهد الإنسان، سواء كان ذكرا أم أنثى، بالتقويم والتوجيه، والتسديد والرعاية، والترغيب والترهيب، منذ خروجه إلى الدنيا إلى أن ينتهي منها، وتعمل على تسليحه بالفضائل، وتنفيه من الرذائل .

فهذه الوصايا العشر، التي تصدرها أمرا لله بالمتع من الشرع، وتحريمه بصفته الذنب العظيم، الذي لا يغفر: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (١)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (٢)، والشرع لا يصح معه عمل، ولا يستحق المشرك عن عمله الحسن الثواب، قال تعالى: ﴿وَقَدْ مَنَّا عَلَى مَنَّا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ (٣) .

الوصية الأولى : تحريم الشرك:

وإذا جاءت الوصية الأولى بتحريم الشرك؛ فهي ملزمة بالتوحيد وإفراد الله بالعبادة، ويكون التوحيد شاملا: لتوحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، توحيدا خالصا لا تشوبه شائبة .

ومن ينظر في هذه الآيات؛ يجدها قوام هذا الدين كله، وهي خلاصة الإسلام، انها قوام حياة الضمير بالتوحيد، وقوام حياة الأسرة بأجاليها

(١) سورة النساء، من الآية ٤٨ .

(٢) سورة لقمان، من الآية ١٣ .

(٣) سورة الفرقان، الآية ٢٣ .

المتابعة بالتكاتف والتآلف، وقوام حياة المجتمع بالتكافل والتراحم والتعفف والعفاف والطهارة، فيما يجري فيه من معاملات، وفيها قوام حياة الإنسانية، وما يحيط الحقوق فيها من ضمانات مرتبطة بعهد الله، كما أنها بدأت بتوحيد الله .

إن الأمور التي جمعتها هذه الآيات الثلاث لهي أمور هائلة، تصدرتها قضية الدين الأساسية، قضية العقيدة والتوحيد، وإفراد الله بالعبادة والاستسلام لله، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك قال تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ ﴾ - لاماتدعونه أنتم أنه حرمه بزعمكم - لقد حرم عليكم ربكم الذي له حق الربوبية، وهي القوامة والتزوية والتوجيه والحاكمية، فهذا حقه المطلق وموضع سلطانه.

فالباري جل وعلا قد حرم على الناس الشرك، والقاعدة التي يقوم عليها بناء العقيدة، وترجع إليها التكاليف والفرائض، هي الأصل الذي يتعين أن يستقر ويثبت قبل الدخول في الأوامر والنواهي، وقبل تفصيل التكاليف والفرائض، فيتعين على الناس أن يعترفوا بالله ربا وإلهًا، وحاكما ومتصرفا، في كل أحوالهم: يؤمنون بالله ربا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيا رسولا.

إنها دعوة لتنقية الضمير من شوائب الشرك، وتنقية العقل من شوائب الخرافة، وتنقية المجتمع من عادات وتقاليد الجاهلية، وإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد . إن الشرك في كل صوره وأشكاله، هو

المحرم الأول؛ لأنه يجر إلى كل محرم، وهو المنكر الأول الذي يتعين حشد كل الطاقات لإزالته؛ حتى يعترف الناس أنه لا إله إلا الله، ولا حاكم ولا مشرع إلا هو سبحانه وتعالى، وأن التوحيد على إطلاقه هو القاعدة الأولى، التي لا يغني عنها شيء آخر من عبادة أو عمل .

الوصية الثانية : ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا﴾:

هذا أمر صريح ظاهر في إلزام الأولاد ببر الوالدين، وإكرامهما والإحسان إليهما إحساناً مطلقاً، لا يشوبه قصور أو تقصير، ولا يحوم حوله ضيق أو تضجر، أو شعور بالتثاقل في أداء هذا الحق، ولا شك أن هذا من أسمى أنواع التربية، ومما يدل على سمو حق الوالدين ورفعة منزلتهما؛ أن جعل الله سبحانه وتعالى الإحسان إليهما مقترناً بحقه في الطاعة والعبادة، وقد اقترن حق الوالدين بحق الله في جملة من الآيات، ففي سورة البقرة: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(١)، وفي سورة النساء: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا﴾^(٢)، وهنا في سورة الأنعام: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(٣)، وفي سورة الإسراء: ﴿وَقَضَىٰ رَبِّيَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا

(١) سورة البقرة، من الآية ٨٣ .

(٢) سورة النساء، من الآية ٣٦ .

(٣) سورة الأنعام، من الآية ١٥١ .

قَوْلًا كَرِيمًا • وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا
كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿١﴾، وفي سورة لقمان: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَلَدِكَ
إِلَى الْمَصِيرِ﴾ ﴿٢﴾.

ولهذه الآيات مغزاها ودلالاتها على عظم حق الوالدين، وكيف أنه بلغ من علو المنزلة أن جاء مقترنا بحق الله تبارك وتعالى، وهذا للإشعار بسمو منزلة الوالدين ورفعة قدرهما، وللتنبية إلى معنى واحد يجمع بين الوصيتين، وهو أن المنعم يجب أن يشكر، فالله تعالى هو الخالق المنعم؛ فيجب أن يشكر، ويفرد بالعبادة والطاعة، والوالدان هما السبب المباشر لوجود الإنسان في هذه الحياة؛ فيجب عليه أن يشكرهما، وأن يحسن إليهما إحسانا لا يتقيد بما هو حق أو عدل، بل يتجاوز ذلك ليكون تعاملًا كريمًا، ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ ﴿٣﴾، لم يقل تعالى: (قولا حقا)، ولا (قولا عدلا)، وإنما وصفه بالكريم، والكرم فيض فوق الحق وفوق العدل. ويلاحظ كذلك أن المأمور بالإحسان هم الأبناء، بينما لانجد آية واحدة تأمر الآباء بالإحسان إلى أبنائهم، ولعل السر في ذلك هو: لفت الأنظار إلى أن إحسان الآباء إلى الأبناء أمر محقق، وواقع منهم. بمقتضى فطرية فطرهم الله عليها، وأن الشأن أنه لا يحتاج إلى حث على ذلك، أو دعوة إليه، وهذا أسمى وأعلى وأصدق ألوان التربية السليمة التي يؤيدها الواقع، وبهذا المنهج

(١) سورة الإسراء، الآيتان ٢٣، ٢٤ .

(٢) سورة لقمان، من الآية ١٤ .

(٣) سورة الإسراء، من الآية ٢٣ .

الوصايا العشر كما جاء في سورة الأنعام: ﴿لَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ إِنَّهُ كَانَ قَتْلُهُمْ جُرْماً عَظِيماً﴾ (سورة الأنعام: ١٥١).

القيم والتربية الحكيمة تسعد المجتمعات؛ لأنه متى استقامت العلاقات، وصلحت الأحوال، وقويت الصلات بين الآباء والأولاد؛ ظهر أثر ذلك في الأفراد والأمم، وأصبح مجتمع الإسلام صورة مشرقة، وقدوة للمجتمعات الأخرى.

الوصية الثالثة: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾.

والإملاق: شدة الفقر والفاقة، يقال: أملق الرجل إملاقاً، إذا احتاج واقتقر، أي: ولا تقتلوا أولادكم الصغار من أجل الفقر، فنحن قد تكفلنا برزقكم ورزقهم. ومن الجرم الواضح والظلم الفادح الاعتداء على حق هؤلاء الصغار في الحياة، وقد ورد النهي عن قتل الأولاد هنا بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ (١)، وجاء في سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ (٢)؛ لأن الحديث هنا في سورة الأنعام عن فقر واقع فعلاً، فكأنه سبحانه يقول لهم: لا تقتلوا أولادكم من فقر واقع فيكم أيها الآباء، ولذا قال سبحانه: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ فجعل الرزق للآباء ابتداءً؛ لأن الفقر الذي يدفعهم لقتل أولادهم حاصل لهم فعلاً، أما في سورة الإسراء فالفقر ليس واقعاً، وإنما هو أمر متوقع لذا قال: ﴿خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾، أي: خوفاً من فقر متوقع وليس موجوداً فعلاً، ولكنه متوهم لوجود الأولاد، ولهذا جاء التعبير الإلهي

(١) سورة الأنعام، من الآية ١٥١.

(٢) سورة الإسراء، من الآية ٣١.

مطمئنا للآباء وأنه سبحانه قد تكفل برزق الأولاد، كما تكفل برزق الآباء ويده خزائن السموات والأرض، وقد تعهد برزق الجميع: ﴿وَمِمَّنْ دَابَّتْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ (١).

ويعمل هذه التربية الحكيمة تغرس الثقة بالله تعالى، وتنبث الفضائل في النفوس. ولا ريب أن قتل الأولاد من أعظم الذنوب، بل قد يأتي بعد الإشراك بالله.

صح عن المصطفى عليه السلام من رواية ابن مسعود رضي الله عنه، حين سئل رسول الله ﷺ، أي الذنب أعظم؟ فقال: «أن تجعل لله ندا وهو خلقك»، قال: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك»، قال: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حيلة جارك»، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ (٢).

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطى عليه رحمة الله: - قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ﴾ (٣) الآية - نهى الله تعالى في هذه الآية الكريمة عن قتل الأولاد من أجل الفقر الواقع بالفعل، ونهى في سورة الإسراء من قتلهم خشية الفقر المترقب المخوف منه، مع أنه غير واقع في الحال بقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ وأخذ بعض أهل العلم

(١) سورة هود، من الآية ٦.

(٢) سورة الفرقان، من الآية ٦٨.

(٣) سورة الأنعام، من الآية ١٥١.

الوصايا العشر كما جاءت في سورة الأنعام..... د/ محمد بن أحمد الصالح
من هذه الآية الكريمة: منع العزل؛ لأنه وأد خفي، وحديث جابر: (كنا
نعزل والوحي ينزل) يدل على جوازه.

الوصية الرابعة: النهي عن قربان الفواحش مظهر منها وما بطن.

وهذا امتداد للوصية بالأسرة التي يتعين تماسكها وترابطها وتثبيت الود
بين أفرادها، ولما وصاهم الله بالأسرة وصاهم بالقاعدة التي تقوم عليها،
كما يقوم عليها المجتمع كله، وهي قاعدة الطهارة والنظافة والعفة، فإنه
لا يمكن قيام أسرة، ولا استقامة مجتمع في وحل الفواحش، ما ظهر منها وما
بطن، إنه يتعين تحقق الطهارة والنظافة والعفة .

والفواحش: جمع فاحشة، وهي ما عظم قبحه من الأقوال والأفعال،
وأكثر إطلاقاتها على فاحشة الزنا، فتخصيص الفواحش هنا بفاحشة الزنا
أولى بطبيعة السياق وصيغة الجمع؛ لأن هذه الجريمة ذات مقدمات
وملابسات، كلها فاحشة مثلها، فالتبرج والتهتك والاختلاط المثير
والكلمات والإشارات والحركات والإغراء والتزين والاستشارة، كلها
فواحش، تسبق وتمهد وتحيط بالفاحشة الكبرى، ﴿لَئِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ
سَبِيلًا﴾ .

والفواحش كلها مما يحطم قوام الأسرة وينخر في جسم الجماعة فوق
ما يلطخ ضمائر الأفراد ويدنس الأعراض، ولما كانت الفواحش ذات إغراء
وجاذبية وقد يميل لها الطبع، جاء النهي عن مجرد قربانها، فضلا عن مراقبتها
سدا للذرائع واتقاء للجاذبية التي قد تضعف معها الإرادة، ولأن قربان

الفواحش قد يؤدي إلى مباشرتها، فمن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه. وهذا لون حكيم من ألوان التربية الرشيدة والإصلاح القويم؛ لأنه إذا ورد النهي عن قربان الشيء، فلا بد أن ينهى عن مباشرته من باب أولى وأحرى .

وقد تكرر النهي في القرآن الكريم عن قربان ما تميل له النفس ويميل إليه الطبع في مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ (١)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ﴾ (٢)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ﴾ (٣)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ (٤)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٥)، فيلاحظ أن كل منهي عنه من شأنه أن تميل النفوس إليه، وتدفع إليه الأهواء والشهوات، يأتي النهي عنه بصيغة النهي عن مجرد القربان؛ للمبالغة في التحذير من الاقتراب، فضلا عن مباشرته أو الوقوع فيه .

أما المحرمات التي لا تألفها النفوس ولا تميل إليها ولا تدفع إليها الغرائز والشهوات فيأتي النهي عنها مباشرة، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ (٦)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ (٧)،

(١) سورة البقرة، من الآية ٣٥ .

(٢) سورة البقرة، من الآية ٢٢٢ .

(٣) سورة الإسراء، من الآية ٣٢ .

(٤) سورة الأنعام، من الآية ١٥١ .

(٥) سورة الأنعام، من الآية ١٥٢ .

(٦) سورة الأنعام، من الآية ١٥١ .

(٧) سورة النساء، من الآية ٢٩ .

أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَمْلَكَتٍ أَيْمَنَهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ
الَّذِينَ لَمْ يَبْظَهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضُرُّنَ بَارِئُهُنَّ لِعُلْمِ مَا يُخْفِينَ مِنْ
زِينَتِهِنَّ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١﴾

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلْ لَّا زَوْجَكَ وَبَنَانِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ
ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ يَعْرِفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٢).

٤- الأمر بغض البصر أمام مفاتن النساء: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا
مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا
يَصْنَعُونَ﴾ (٣).

٥- النهي عن دخول بيوت الآخرين دون استئذان أهلها: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا
ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ • فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا
حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ آزِجُوا فَآزِجُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ يَمَاتَعْمَلُونَ
عَلَيْكُمْ﴾ (٤).

ومما يدل على بشاعة جريمة الزنا وفضاعته أن تحدث القرآن عن هذا
الفساد الخلقي وكأنه نوع من القتل المعجل، ومن ثم فقد ورد في القرآن
الحديث عن الزنا بين نوعين من أنواع القتل، أو مقترنا بالنهي عن الشرك

(١) سورة النور، الآية ٣١ .

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٥٩ .

(٣) سورة النور، الآية ٣٠ .

(٤) سورة النور، الآيتان ٢٧، ٢٨ .

الرصاصا العشر كما جاءت في سورة الأنعام ————— د/ محمد بن أحمد الصالح

والقتل، ففي سورة الأنعام يرد ذكر الفواحش بعد النهي عن قتل الأولاد وقبل النهي عن قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وفي سورة الإسراء جاء النهي عن قتل الأولاد في الآية (٣١)، والنهي عن قربان الزنا في الآية التي تليها (٣٢)، وفي الآية (٣٣) النهي عن قتل النفس، وقال تعالى ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ (١).

وأسلوب القرآن الكريم في تقييح الزنا والتنفير منه يدل على أن هذه الجريمة تؤدي إلى شر مستطير، فهي تلوث العرض، وتدنس الفراش، وتفسد النسل، وتلحق العار والخسارة في الدنيا والآخرة .

إنما ظهر الزنا في قوم إلا ظهر فيهم الطاعون، وفشت فيهم الأمراض التي لم تعرف فيمن قبلهم، على أن المرأة إذا حملت من السفاح فإما أن تقتل الولد؛ فتزهق نفسا بغير حق، وإما أن تلحقه بزوجها وتثبت له نسبا باطلا وتثبت له محرمية مزيفة، وتجعله يرث مالا حراما إلى غير ذلك من الشرور والمفاسد التي قد تصيب المجتمع بالكثير من الكوارث؛ ولذا قال المصطفى ﷺ: «أبما امرأة ألحقت بقوم من ليس منهم، فليست من الله في شيء ولن يدخلها جنته» (٢) .

الوصية الخامسة: النهي عن قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق:

لقد جاء النهي عن هذه المنكرات الواردة في الآية متواليا ومتتابعاً؛

(١) سورة الفرقان، من الآية ٦٨ .

(٢) رواه ابن ماجه في سننه في باب: (من أنكر ولده) ج ٢ ص ٩١٦ حديث (٢٧٤٣) .

لأن كلا منها جريمة قتل من نوع ما، بل إنها جرائم قتل في الحقيقة.

فالجريمة الأولى: الشرك بالله فهي قتل للفطرة.

والثانية: قتل الأولاد وهي تحطيم للأسرة.

والثالثة: الزنا جريمة قتل للجماعة.

والرابعة: جريمة قتل للنفس المفردة .

فلا يجوز إذا قتل النفس التي حرم الله قتلها في حال من الأحوال، إلا في حال فعلها لشيء يوجب قتلها، فقد أخرج الإمامان البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»^(١)؛ وذلك لأن الإسلام ينظر إلى وجود الإنسان على أنه بنيان بناه الله تعالى، فلا يحق لأحد أن يهدمه إلا بالحق، وبذلك يقرر الإسلام عصمة الدم الإنساني، ويعتبر من اعتدى على نفس واحدة فكأنما اعتدى على الناس جميعاً، قال تعالى: ﴿مَنْ أَجَلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾^(٢).

وبهذه الأوامر والنواهي: تصان الدماء، وتحترم الأعراس، ويسود الأمان والاطمئنان بين الناس ف«كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله

(١) متفق عليه .

(٢) سورة المائدة، من الآية ٣٢ .

وعرضه»، «والمسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا» .

ومن محاسن هذه الشريعة أن اعتبرت المحافظة على الضروريات الخمس: حفظ الدين، حفظ النفس، حفظ النسل والعرض، حفظ العقل، حفظ المال، فهذه الأمور قد تعين صيانتها ويحرم المساس بها .

ويأتي في ختام هذه الوصايا الخمس قول الله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، وهذا التعقيب يجيء وفق المنهج القرآني في ربط كل أمر وكل نهى بالله ربطاً للأوامر والنواهي بهذه السلطة التي تجعل للأمر والنهي وزنه في ضمائر الناس وعقولهم: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾ (١) .

الوصية السادسة: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ .

تصدرت الآية الثانية والخمسين بعد المائة من السورة نفسها، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ (٢) . لقد شاء الله تبارك وتعالى واقتضت حكمته أن يأتي هذا الدين الخاتم على يد يتيم يكون هو النبي الخاتم، هذا اليتيم الكريم قد عهد الله إليه بأشرف مهمة في الوجود عندما شرفه بإبلاغ الرسالة إلى الناس كافة، وجعل من آداب هذا الدين الذي بعثه به رعاية اليتيم وكفالته على النحو الذي منه هذا التوجيه الوارد في الآية .

(١) سورة طه، من الآية ٥٤ .

(٢) سورة الأنعام، من الآية ١٥٢ .

واليتيم ضعيف في الجماعة بفقده الوالد الحاني والمربي، ومن ثم تقع مسؤولية حمايته وكفالاته على المجتمع المسلم، على أساس التكافل الاجتماعي الذي جعلته الشريعة قاعدة نظامه الاجتماعي .

ولقد كان اليتيم يعاني من الضياع والتشرد والاستغلال في المجتمع الجاهلي، حتى جاء دين الإسلام فأنقذه من هذا الضياع ورتب له حقوقاً يتعين صيانتها، ومن حقوقه حفظ أمواله وتنميتها، وعدم قربانها إلا بما يصلحها، فعلى من يتولى اليتيم ألا يقرب ماله إلا بالطريقة التي هي أحسن لليتيم؛ حتى يسلمه له كاملاً نامياً، وقوله تعالى: ﴿ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۚ ﴾ (١) ليس غاية للنهي، إذ ليس المعنى إذا بلغ اليتيم سن الرشد فاقربوا ماله، إنما المعنى أنهاكم - أيها الأولياء والأوصياء - عن الاقتراب من مال اليتيم إلا بالطريقة التي هي أنفع له، وعليكم أن تستمروا على ذلك حتى يبلغ اليتيم رشده، فإذا بلغ رشده فسلموا إليه ماله ليتصرف فيه التصرف السليم .

فالنهي في الآية ليس عن أكل مال اليتيم، بل عن مجرد القرب منه، وفي ظل قاعدة التكافل الوارفة الظلال، عني الإسلام باليتيم وأمواله؛ فدعانا إلى حسن استثمار أموال اليتيم للإنفاق من عائدها عليه، قال تعالى: ﴿ وَأَرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ (٢) ، وقال ﷺ: «من ولي يتيماً له مال فليتجر فيه، ولا يتركه حتى تأكله الصدقة» (٣).

(١) سورة الأنعام، من الآية ١٥٢ .

(٢) سورة النساء الآية ٥ .

(٣) أخرجه الترمذي رقم ١٦٤، والبيهقي ١٠٧/٤ .

ويتعين حسن تربية اليتيم وتعليمه وتدريبه على إدارة أمواله قبل دفعها إليه، قال تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾^(١). فعلى الولي أن يسلم المال لليتيم ناميا كاملا عند بلوغه أشده، واكتمال قوته البدنية والعقلية؛ ليكون قادرا على حفظ ماله، ويحسن القيام عليه، وبذلك يكون اليتيم قد استوفى حقه، وحصل على ماله كاملا، مع ماتحقق له من الكسب والربح نتيجة حسن تصرف الولي وقيامه على المال بما يصلحه، وبهذا التصرف الحكيم، لا يكون اليتيم هو من فقد أبويه أو أحدهما في المجتمع المسلم الرشيد؛ لأن المجتمع الإيمانى، اليتيم فيه مكفول الحق، فقد أباه فكان له من المؤمنين آباء، وفقد أمه فكان له من المؤمنات أمهات .

إنما اليتيم من لم يحظ بكفالة أبيه، وينعم برعايته، ويستفيد من مصاحبته والحوار معه، ولم ينعم بحنان أمه وشفقتها وعطفها :

ليس اليتيم من انتهى أبواه من هم الحياة وخلفاء ذليلا
إن اليتيم هو الذي تلقى له أما تخلت أو أبا مشغولا
(أمير الشعراء أحمد شوقي)

وقد أولت شريعة الإسلام عنايتها بالأيتام، من تدبير شؤونهم، ورعاية

(١) سورة النساء، الآية ٦.

مصلحتهم، وليس أدل على ذلك مما ذكره الحق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز، حيث تحدث عن اليتيم في ثلاثة وعشرين موضعاً في القرآن الكريم^(١)، كلها تدعوا إلى رعايتهم، والحفاظ على أموالهم، والسهر على مصلحتهم، بل وتشدد النكير على من تسول له نفسه أن يعتدي على أموالهم، أو يأكل شيئاً من حقوقهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَكُونُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾^(٢).
 الوصية السابعة: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

وهذه المبادلات التجارية بين الناس، في حدود الطاقة، وحسن التصرف والإنصاف، وسياق الوصايا في الآيات يربطها بالعقيدة، والموصي والامر هو الله جل وعلا، والمعنى: وأتموا الكيل إذا كلتم للناس أو اكلتم عليهم لأنفسكم، وأوفوا الميزان إذا وزنتم لأنفسكم فيما تبتاعون، أو لغيركم فيما تبيعون، فهو أمر من الله تعالى لعباده بأقامة العدل حال التعامل: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾^(٣).

فيتعين أن يعطى صاحب الحق حقه من غير نقص، ويأخذ صاحب

(١) سورة البقرة الآيات: (٨٣، ١٧٧، ٢١٥، ٢٢٠)، سورة النساء الآيات: (٢، ٣، ٦، ٨، ١٠، ٣٦، ١٢٧) مكرر، سورة الأنعام الآية: (١٥٢)، سورة الأنفال الآية: (٤١)، سورة الإسراء الآية: (٣٤)، سورة الكهف الآية: (٨٢)، سورة الحشر الآية: (٧)، سورة الإنسان الآية: (٨)، سورة الفجر الآية: (١٧)، سورة البلد الآية: (١٥)، سورة الضحى الآية: (٩، ٦)، سورة الماعون الآية: (٢).

(٢) سورة النساء، الآية ١٠.

(٣) سورة الإسراء، من الآية ٣٥.

الحق حقه من غير زيادة. وهذه الوصية تمثل مبدأ العدل في التعامل، والتعادل بين صاحب الحق ومن له الحق، وحال الناس لاتستقيم إلا بالتعامل وتبادل المنافع .

والكيل والوزن هما من أظهر الوسائل في ذلك، فلا بد أن يكونا منضبطين وقائمين على القسط والعدل، وقوله تعالى: ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، جاءت عقب الأمر بإيفاء الكيل والوزن بالعدل، ولكن بقدر الطاقة للدلالة على الترخيص فيما خرج عن الوسع والقدرة؛ لبيان قاعدة من قواعد الإسلام الرافعة للخرج؛ وذلك لأن التبادل التجاري لا يمكن أن يتحقق على وجه كامل من المساواة والتبادل، بل الشأن فيه أن يقبل اليسير من الغبن في جانب البائع، أو في جانب المشتري، وهذه الوصية تجمع في ثناياها بين الدقة والسماحة، وبين الضبط ورفع الحرج .

الوصية الثامنة: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ .

هنا نجد الإسلام يرقى بالضمير البشري إلى درجة عالية ومنزلة رفيعة؛ لأن ههنا منزلة من مزلات الضعف البشري، الذي يجعل شعور الفرد بالقربة هو شعور التناصر والتكامل والامتداد بما أنه ضعيف ناقص، ويجد في قوة القربة سندا لضعفه، ومن ثم يجعله ذلك ضعيفا تجاه قرابته حين يقف موقف الشهادة لهم أو عليهم، أو القضاء بينهم وبين الناس، فعليه أن يحكم بالعدل، فالعدل هو الأساس للحكم السليم .

والعدل مطلوب في القول من الشهادة ونحوها في كل الأحوال، كما

أن العدل مطلوب في الفعل وفي الحكم، وجاء التخصيص في الآية بالقول؛ لأن أكثر ما يكون فيه العدل أقوال، كالشهادة والحكم .

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾، فهو أخذ بالإنسان عما جرت به عادته، من التأثير لغيرهم؛ ولهذا تعين على المسلم أن ينطق بالحق، ويقول الصدق، دون أن يميل للقرابة، أو تحمله العداوة على الظلم والإجحاف، للآخرين، قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۖ أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (١) .

الوصية التاسعة: ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ .

الوفاء بالعهد أصل من أصول الشريعة التي يتحقق من خلالها الخير والعدل والصلاح، واستقامة أحوال المجتمع، فعلى المسلم أن يكون وفيا مع الله، فيما عاهد عليه الله من الاستقامة على العقيدة، والبعد عن قتل الولد أو إهماله، وعدم ممارسة الفواحش، ما ظهر منها وما بطن، وصيانة النفوس، والمحافظة على مال اليتيم، وحسن التعامل في الكيل والوزن، وكل المبادلات التجارية، وتطبيق العدل على كل الناس .

وبالجملة فيتعين على كل مسلم الوفاء بما عاهد عليه الله: ﴿وَأَوْفُوا بِالعَهْدِ ۖ إِنَّ العَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (٢)، وقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَٰهْدِهِ عَلَيْهِ اللَّهُ فَاِئْتِ بِهٖ اَجْرًا عَظِيْمًا﴾ (٣) ، وقوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ

(١) سورة المائدة، من الآية ٨ .

(٢) سورة الاسراء، من الآية ٣٤ .

(٣) سورة الفتح، من الآية ١٠ .

الوصايا العشر كما جاءت في سورة الأنعام _____ د/ محمد بن أحمد الصالح

رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا • لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١﴾ وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ (٢) .

فالمسلم عليه الوفاء بكل التزام من عقد أو عهد؛ لأن تنفيذ العهد دليل بر ووفاء، والإخلال به من مظاهر الكفر والنفاق، قال عليه الصلاة والسلام، فيما يرويه عن ربه عز وجل: «ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، ومن كنت خصمه خصمته»، وذكر منهم: «رجلا أعطى بي ثم غدر» الحديث (٣)، وقال عليه الصلاة والسلام: «ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة، يقال: هذه غدرة فلان» (٤) .

وهذا طرف يبين عظم العهد وضرورة التنفيذ، ولا أدل على ذلك من ختام الآية بقوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، فهذا التعقيب الإلهي البديع في موضعه، حيث جاء بعد التكاليف الواردة في الآيتين: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، والذكر ضد الغفلة، والقلب الذاكر غير الغافل، وهو يذكر عهد الله كله، ويذكر وصاياه المرتبطة بهذا العهد ولا ينساها .

(١) سورة الأحزاب، الآيتان ٢٣، ٢٤ .

(٢) سورة المائدة، من الآية ١ .

(٣) رواه ابن ماجه رقم ٢٤٤٢ كتاب الرهون ج ٢ .

(٤) رواه ابن ماجه رقم ٢٨٧٢ كتاب الجهاد ج ٢ .

وهذه القواعد الأساسية الواضحة التي تلخص العقيدة وشريعتها الاجتماعية مبدوءة بتوحيد الله ومختومة بالالتزام بصراط الله .

الوصية العاشرة: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

وهذه الوصية تمثل خلاصة الدين كله؛ لأن من التزم بصراط الله فقد اهتدى إلى سواء السبيل، وسلك طريق الذين أنعم الله عليهم من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين .

والالتزام بسبيل الله يعصم من الزلل، ويحمي من سوء، ولأن الصراط هو دين الله وطريقه الذي لا عوج فيه ولا أمتا .

فمن الواجب على كل مسلم أن يسلك هذا السبيل، ويهتدي بهذا الصراط، ويترك السبل الباطلة، والطرق المعوجة، والمبائديء الفاسدة، والأديان المنسوخة .

أخرج الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : خط لنا رسول الله ﷺ خطاً، ثم قال: «هذا سبيل الله»، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله، ثم قال: «هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه» (١) ثم قرأ ﷺ هذه الآية الكريمة .

وبعد: فهذه هي الوصايا العشر التي اشتملت على أسمى وأصدق وأفضل ألوان التربية للأفراد والجماعات، إذ المتأمل فيها يراها قد وضعت

(١) مسند الإمام أحمد ج ٣ رقم ٢٩٧ .

أساس العقيدة السليمة، القائمة على إخلاص العبادة لله الواحد القهار، كما يجدها قد أقامت الأسرة الفاضلة على أساس الإحسان بالوالدين، والرحمة بالأولاد، كما أنها قد حفظت المجتمع من التصدع والاضطراب عن طريق تحريمها لانتهاك الأنفس والأموال والأعراض، ثم ربطت كل ذلك بتقوى الله تعالى التي هي منبع كل خير وسبيل كل فلاح، وهي جماع الأمر كله وهي الغاية التي يتحقق معها الفوز والظفر بالمطلوب . فالتقوى كما فسرها العلماء هي: ألا يفقدك الله حيث أمرك، ولا يجردك حيث نهاك، وبها صلاح الأمر كله .

فالتقوى في القلب هي التي توهم الإنسان للانتفاع بهذا الكتاب، هي التي تفتح مغاليق القلب له، فيدخل ويؤدي دوره، هي التي تهيء لهذا القلب أن يلتقط، وأن يتلقى وأن يستجيب... .

ورد أن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، سأل أبي بن كعب رضي الله عنه عن التقوى، فقال له: (أما سلكت طريقا ذا شوك ؟ قال: بلى ! قال: فما عملت ؟ قال: شمرت واجتهدت . (قال: فذلك التقوى) .

فتلك التقوى حساسية في الضمير، وشفافية في الشعور، وخشية مستمرة، وحذر دائم، وخوف لأشواق الطريق.. طريق الحياة الذي تتجاذبه الرغائب والشهوات، وأشواق المطامع والمطامح، وأشواق المخاوف والهواجس، وأشواق الرجاء الكاذب فيمن لا يملك إجابة رجاء، والخوف

الكاذب ممن لا يملك نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا.. (١) .
 وإذا فالتقوى جماع الخير كله، وبها صلاح الأمر كله، ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ
 فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ • فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْدِرٍ﴾ (٢) .
 نسأل الله تعالى أن يسلك بنا طريق المتقين، وأن يجعلنا من الفائزين،
 وأن يهدينا صراطه المستقيم، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن
 الحمد لله رب العالمين .

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب ج ١/٣٨، ٣٩ بتصرف، تفسير ابن كثير ج ١/٤٠ .

(٢) سورة القمر، الآيتان ٥٤، ٥٥ .